أنا أُ أومن بادخال اللغة العربية بجانب اللغة الانكليزية في التعليم الطبي

الدكتور عبدالسلام صالح سلطان

المريض هو المعلم الأول للطبيب ..... الرازي

أقرت كلية الطب التدريس باللغة العربية منذ نشأتها الأولى سنة 1927 ولم يطبق هذا القرار، وترأس عمادة كلية الطب الطبيب الانكليزي سندرسن باشا في ذلك الحين، وأُجل القرار لحين توفر الامكانات من أجل تدريس الطب باللغة العربية، واستمر التدريس باللغة الأنكليزية وظهرت مبادرات خجولة لتعريب الدراسة، ودفنت في مهدها، وساعد التدريس باللغة الانكليزية الأطباء لمواكبة العلوم الطبية المتسارعة التطور والحصول على التخصص في الجامعات البريطانية. ومن ناحية أخرى ظهرت مشكلات أخرى بسبب عدم استعمال اللغة العربية في الممارسة الطبية العراقية، واهمها: اعتماد الممارسة الطبية على العلوم الطبية البحته واهمال الجوانب الإنسانية لمعاناة المرضى. وحصل بون شاسع بين اللغة التي يستخدمها الطبيب عن اللغة التي يستخدمها المريض واسميته الحرج اللغوي حيث يتكلم الطبيب والمريض لغتين مختلفتين في الظاهر والمضمون. وساد الغموض ورطانة غير مفهومة بين المريض الطبيب والملاكات الصحية المساعدة الأخرى التي تستعمل اللغة العربية غالبًا. وحدث اغتراب الطبيب المصطنع عن مجتمعه وفقدان الثقة بالمهنة بسبب الاختلاف اللغوي وقصور الفهم والافهام بين الطرفين. وكثرة شكاوى المرضى والمجتمع من الأطباء مما اضطر البرلمان لتشريع قانون حماية الأطباء والذي يعد وصمة عار في جبين المهنة الطبية العراقية. بدلاً أن يكون الطبيب هو المدافع الأول والمحامي والمنقذ والراعي والآسي للمريض امسى يبحث عن قانون يحميه من المريض أضعف إنسان في المجتمع.

ومما زاد في ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم الطبي التغيّر الحاصل في انماط الامراض التي يعاني منها المجتمع العربي عامة والعراقي خصوصًا من الامراض الحادة إلى الأمراض المستديمة، وأزدادت أهمية مشاركة المريض في رعاية نفسه وضرورة تزويده بالثقافة الصحية والمهارات اللازمة لامكانية تطبيقها للسيطرة على امراضه وتعزيز صحته. والتي تحتم على الطبيب لتغيير منهج الممارسة الطبية من ممارسة طبية محورها ويقودها الطبيب إلى ممارسه صحية محورها وغايتها المريض. ومن جانب آخر تمكنت من ادخال افكار المريض ومعتقداته ومنظوره الشخصي في البرنامج العلاجي ومن ثم أصبحت مواد تدرس في المحافل الطبية والدورات الرسمية فضلاً عن المناهج الدراسية، وبذلك اصبحت تجارب المريض مواد دراسية تغني الجانب العلمي للممارسة الطبية والتعليم الطبي.

فمثلًا كان علاج داء السكري يُراقب بإجراء تحليل السكر في المختبر باوقات متباعدة، وحاليًا يمتلك مريض السكري جهازًا يمكنه قياس نسبة السكر بالدم أكثر من مرة يوميًا، لذلك يتطلب تثقيف المريض بمرضه وعلاقة مستوى السكر بالدم والعلاج الذي يتناوله، ورسم دوره في الخطة العلاجية التي تناسب حياته ومعلومات كثيرة عن هبوط السكري وكيفية علاجها في الحالات الطارئة والمضاعفات وكيفية الوقاية منها وعلاجها، كل ذلك يحتاج أن يتعلم من المريض كيف يعيش مع المرض الذي يعاني منه وكيف نرسم الخطة العلاجية بلغة المريض ومستوى ثقافته.

ومن تجربتي الخاصة مع اللغة العربية، أصبح عملي في العيادة ممتعًا وتطورت علاقتي بالمرضى وأشعر بالرضى والسعادة في ممارسة مهنتي الطبية، لأني أفهم بعمق ما يبوح به المريض من معاناة واتمكن من تفسير عبارات المريض الطبية الشعبية وألفت قاموسًا من المصطلحات الطبية الشعبية، وأحاول جهد امكاني أن أجد تعابير لغوية بسيطة للمصطلحات الطبية التي اشرحها للمريض، واصبح المريض صديقا لي ومستشاره ليس طبيًا حسب وانما اجتماعيًا أيضا، فضلاً عن تأليفي للكتب الطبية التي نالت استحسان القراء وادخلت مناهج تدريس في كليات الطب.

وعلى الرغم من استعمال اللغة الأنكليزية في أكثر من 33 كلية طب في العراق، وتعصب البعض على أنها لغة العلم الوحيدة، لم تحصل أي كلية طب عراقية الاعتراف بعلميتها واعتمادها في المؤسسات الطبية العالمية، لذلك أرى ان ادخال اللغة العربية بجانب اللغة الانكليزية عامل حاسم في تطوير الرعاية الصحية العراقية، والتقرب من عالم المريض الواسع وتكييف الطب الذي تعلموه للغة المريض البسيطة وانقاذ المهنة الطبية من فقدان المصداقية في المجتمع العراقي، وكما نصح كونفوشيوس حكيم الصين حينما طلب منه من أين يبدأ بالتغيير فنصحه البدء باللغة.